

!!أيها الشباب المسلم احذر من الفردانية

في ستينيات القرن الماضي كانت الثورة والعدالة الاجتماعية وتغيير النظام وصراع الطبقات والكفاح ضد الاستعمار والقومية العربية شعارات شائعة للغاية؛ تحملها التنظيمات الحزبية والنقابات المهنية والمؤسسات اليسارية والقومية.

عاشوا دهرًا طويلاً من الزمن يناضلون ويكافحون ويكابدون من أجل تحقيق أهدافهم الجماعية المشتركة، ثم إن الجهود التي بذلت لم تحقق نهضة؛ فجاءت الجماعات الإسلامية التي استطاعت أن تجتذب إليها الكثير من الشباب ممن تأكد لديهم فشل فكرة القومية، حيث أنها لم تأت بأي انتصار لتجديد حياة الأمة، وكذلك فشل فكرة الاشتراكية في بلادها الأصلية.

بالموازاة تتالت أحداث إسلامية غيرت المزاج في بلاد المسلمين، فمن موقف عدنان مندريس إلى أن بدأت الثورة الإيرانية، ثم الجهاد الأفغاني ودعم ضياء الحق له، ثم مذابح البوسنة والهرسك، والصحو الإسلامية في الخليج العربي، وحركة الإنقاذ في الجزائر، كل هذه الأحداث وغيرها كانت تحرك كوامن الشباب وتستنهض عزائمهم.

ومع بدايات الربيع العربي التي استفاد من جذوتها الإنجليز فاستثمروها وساقوها لتحقيق أهداف خبيثة، كان الشباب ما يزالون يحملون بأهداف جماعية تتعلق بالتغيير والعدالة الاجتماعية وإصلاح الأوضاع القائمة، والآن في 2021 يبقى السؤال إلى ماذا ينتمي الشباب ولمن يدينون بالولاء؟

خطورة الفردانية

اتجه غالب الشباب في الآونة الأخيرة إلى العناية بالحياة الشخصية والطموح الذاتي والمهارات الفردية، وظهرت سمة الفردانية، وكان لبعض الحركات الإسلامية دور في تشجيعها؛ وهي تلك الحركات التي تركز ثقافتها على التربية الفردية، كثقافة الإخوان التي تنطلق من أن المجتمع مجموعة أفراد وأن بإصلاح الفرد يصلح المجتمع، هذه المفاهيم ساهمت في انتشار الفردانية في كل من تأثر بهذه الطروحات.

جهة أخرى سارت في الاتجاه نفسه، وهي حركة السلفية التي كانت لها اليد الطولى في إذكاء الفردانية؛ بخروجها على التمدد واتباع فقه النص أو فقه الدليل، وشجعت الفرد المسلم على تشكيل دينه وقناعاته من خلال فهمه الخاص للنص، واتباع أحكام متفرقة خارج السياق المذهبي المنضبط، وبذلك فإنها ألغت الحاجة إلى أصول الفقه، والانضباط المذهبي، أو الانتماء إلى مدرسة فقهية.

وتزايد هذا الاتجاه نحو التقلت من التراث الإسلامي، وصار الشباب يسعى نحو التأويل الشخصي للنصوص الدينية، عبر الانطباق الفردي الأناني والذوق الشخصي والفهم الذاتي؛ بحيث يحاول الفرد دائماً تشكيل نظريته الخاصة للدين بعيداً عن أي أحكام سجلت في المدونات الفقهية أو تقارير نقلها العلماء والأصوليون وعلماء الحديث، فهذا الموروث العظيم هناك من يعمل على هجرانه دون وجه حق؛ لأن هجر سبيل (المؤمنين) ثم عظيم (وهذا هو ما دعا له الماسوني محمد عبده شيخ الأزهري قبل ١٠٠ عام).

ثم ظهر أفراد اشتهروا بفردانيتهم مثل عمرو خالد، الذي ظهر أول ما ظهر بشكل واسع في بلاد العرب على يد التلفزيون اللبناني، ولحق به عدنان إبراهيم، ومحمد راتب النابلسي، وعمر عبدالكافي، كما أصبحت هناك حالة من العزوف عن العمل السياسي الجماعي والانعزال عن الحياة الجماعية، واستبدلت كلمات: العادات الاجتماعية والتغيير والنضال والكفاح، بكلمات مثل: الطموح والسعادة والكرير والصحة النفسية والشغف والنجاح، وصار الهدف هو الخلاص الفردي لا الخلاص الاجتماعي.

يلاحظ الباحث جون الترممان ذلك: "فان ظاهرة الفردانية تتسارع في الشرق الأوسط فالأجيال الصغيرة لم تعد مقيدة بالروابط الاجتماعية التقليدية، هؤلاء يتجهون نحو تنظيم اجتماعي ذري" فما الذي يحدث؟ وما الذي تغير؟ إن المتابع يلاحظ أنه قديماً في جيل آبائنا وامهاتنا كان الدافع الذي يتحركون به هو إيمانهم بالقضايا التي تتجاوز أطرهم الذاتي وحياتهم الشخصية؛ فاندفعوا للعمل في منظمات وأحزاب سياسية وجمعيات خيرية وحركات إسلامية ويسارية ومؤسسات أهلية ووفقية.

وحتى داخل الأسرة كان لكل عائلة كبير؛ يفض النزاعات ويحكم في الخلافات ويرجع إليه طلباً للمشورة والحكمة، وكان بمثابة القائد الذي تلتف حوله العائلة في جماعة.

وأما اليوم وبسبب شيوع الفردانية فقد صار الحال إلى غير الحال الاجتماعي الأول، فالفرد منفصل عن الأسرة، له عالمه الخاص، حتى في أكله وشربه، تجده يأكل وحده في غرفته وينعزل فيها، وصار الأفراد في الأسرة الواحدة لا يلتقون بأهلهم إلا في صدفة عابرة أو في

المناسبات. كل إنسان هو سيد نفسه وكل شخص لا يستمع إلا لصوته الخاص. وهجر الشباب الأحزاب السياسية والأعمال التطوعية والجمعيات الخيرية والنضال الحقوقي والكفاح الاجتماعي.

ظهر عصر الفردانية الجديد، "عصر الأنا" أو بكلمات الباحث الهولندي خير توفستيلي: "الشعور بالاستقلالية عن الجماعات والمجموعات". والتنظيمات والعائلات واري ارتباطات جماعية اخرى

ترويج إعلامي يهدف لبث الفردانية

تبث أغلب الرسائل الإعلامية ثقافة تعزز الفردانية في نفوس الشباب والشابات، ويمكننا قراءة هذه الرسائل حتى في المواد الاعلامية الترفيهية.

أحد أبرز هذه الرسائل يتجلى في أفلام الأبطال الخارقين، التي تعتبر إحدى ركائز هوليوود منذ تأسيسها. وبحسب رأي الباحثة الإيرلندية ماري أيكين المتخصصة في دراسات علم النفس السيبراني: "أنّ الشاب أو الفتاة يدخل عالم الانترنت لا ليبحثوا عن مجتمعات أكبر منهم يغيرون فيها قناعاتهم ويندمجون فيها، وإنما يقتحمون الانترنت بهدف تعزيز قناعاتهم الشخصية، وإضفاء مزيد من الاهتمام والتركيز على "ذواتهم وافكارهم وقيمهم الخاصة".

وبالتالي يسبح الجميع في فضاء سيبراني يعزز الفردانية والنرجسية وحب الذات

تفريغ المقاومة

بهذه الثقافة الفردانية اضمحلت الروح النضالية للشعوب العربية والاسلامية، وخفتت حدة شعور المواجهة بين المسلمين وبين أعداءهم، فلا يشغل الشباب بالهم بالقضايا الكبرى، تاركين بذلك مساحة أكبر للعدو المتربص كي يضع قدمه فيها، وهو ما يؤكد محمد المجذوب الأستاذ بجامعة النيلين في الخرطوم قائلا: "إن هناك اتجاها استعماريًا لإكساب الانسان المسلم في العالم العربي القيم الفردانية الغربية، ومن ثم تغييبه "من أي بعد جماعي، وهذا الاتجاه ليس عشوائي وإنما هو تابع لثقافة الهيمنة الغربية ورغبتها في مد نفوذها عبر أنحاء العالم

هذا الامر الذي يؤكد الباحث جون الترممان حين يقول: "تأمين الشاب العربي لحاجياته الأساسية جعله منصرفاً عن التكلفة المتوقعة من "انضمامه إلى الروابط الجماعية

يريدون شبابا وفتيات فردانيين يتمركزون حول ذواتهم، يهتمون بحياتهم الخاصة ولا يلقون بالا للأمة الاسلامية، لتضيع الامة في نهاية المطاف ويضيع معها الشباب الذين ضيعوها

الفردانية في الدين

تنعكس الفردانية على تصور الشباب والشابات للدين الاسلامي، فقديمًا كان الدين يمثل ركيزة أساسية في حياة الناس الجماعية، يحضهم على التعاون على البر والتقوى ويفعل قدرات المرء لما يتجاوز حياته الشخصية، ومثال هذه الصورة المشرقة العمل الجماعي الاسلامي، ومعاونة المسلمين لبعضهم البعض في تربية الأبناء، وتعليم الأطفال في دور الكتاب ومحاضرات التربية. وامتدت سلاسل العطاء بإنشاء الأوقاف الإسلامية؛ تارة لرعاية المرضى، وتارة لكفالة اليتامى وتارة لمساعدة المحتاجين

أنشأ المسلمون أوقافا للالبيان يشرب منها المارة ليرووا ظمأهم، كما أنشأوا الاستراحات للمسافرين وعابري السبيل، حتى للكلاب الضالة التي لا تجد لقمته وزع المسلمون عليها فائض إنتاجهم في أوقاف خصصت لذلك تحديدا

وضمنت الشرائع الاسلامية حقوقاً للجماعة ككل لا للفرد فحسب، مثل شرائع الحج والتقاء الناس فيه، والزكاة التي تقوم على عمل جماعي، والجهاد في سبيل الله كذلك جماعي، والأخذ على يد الظالمين، والإصلاح بين الناس ونحو ذلك

الفردانية نتيجتها آثام وذنوب

وبلغت أهمية الفرائض الجماعية أن الله جعل الأمة آثمة كلها بتركها، وأوضح ما يتجلى فيه هذا المعنى ففروض الكفاية؛ إذ أن الأمة كلها تأثم إذا لم ينهض بعض المسلمين ويسد الحاجة في المجالات التي قرر الفقهاء أنها فروض على الكفاية من الأمة.

وهذه الفروض تتنوع وتشمل مجالات عديدة، منها المجال الديني:

،أولاً: طلب العلم الشرعي ليس فرض عين على جميع الأمة، بل هو من فروض الكفاية

يقول السعدي - رحمه الله - : "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين" أن المسلمين ينبغي لهم أن يُعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم بها.

ثانياً: الدعوة والإرشاد من باب فروض الكفاية، وليست فرض عين على جميع الأمة.

،[قال الله عز وجل: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) [النحل: 125

ثالثاً: صلاة الجنازة:

. ومن أمثلة فروض الكفاية التي ضربها أهل العلم مثلاً: صلاة الجنازة، وتغسيل الميت، والقيام بدفنه، ويمكنك ان تلحق بها الحج

رابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو قطبُ الدِّين ورحى الإسلام، وبه نجاة الأمة من السقوط في برائن المعاصي والذنوب، وبه تحفظ الأعراس والأموال، وهو من فروض الكفاية، كما دلَّت على ذلك الآيات والأحاديث الشريفة؛ يقول الله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران: 104

: وقد يتطلب هذا الفرض ائتمن الأشياء والتضحية بالمهج. قال عليه الصلاة والسلام

" سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى ظالم فامره ونهاه فقتله"

والمحتسب يقوم بعمله من باب الأمر بالمعروف وهذا فرض كفاية، وهو حالياً يوازي حماية المستهلك وهيئة المواصلات والمقاييس وحفظ الامن في الاسواق.

خامساً: رد السلام واجب على الكفاية، أما ابتداء السلام فهو سنة على الكفاية.

فروض الكفايات في الأمور الدنيوية:

أولاً: العلوم الدنيوية: التي لا علاقة لها بالشرع؛ كالطب والهندسة وغيرهما من سائر تلك العلوم، فتعلمه فرض كفاية. يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات؛ كالفلحة والحياسة والسياسة، بل الحجامة والخيطة؛ فإنه لو خلا البلد من الحجاج تسارع الهلاك إليهم، وخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك؛ انتهى

(وقال النووي - رحمه الله -: (وأما العلوم العقلية فمنها ما هو فرض كفاية؛ كالطب والحساب المحتاج إليه

ثانياً: البيع والشراء وغيرهما من فروض الكفاية

ففروض الكفاية تشمل مناحي الحياة، وكل ما تتم به المعاش؛ كالبيع والشراء والحرث وتولي الإمامة والشهادة وأدائها والقضاء وإعانة القضاء على استيفاء الحقوق، وحتى تزويج العزب والعانس.

ولهذا قالت طائفة من أصحاب أحمد والشافعي: إن تعلم هذه الصناعات فرض على الكفاية؛ لحاجة الناس إليها، وكذلك تجهيز الموتى ودفنهم، (وكذلك أنواع الولايات العامة والخاصة التي لا تقوم مصلحة الأمة إلا بها

وبهذا تجد عظمة هذه الفروض ومركزيتها في الشرع الإسلامي

.. فإذا لم يذهب أحد الى الحج في إحدى السنوات تكون الأمة كلها آثمة

كذلك؛ فإن الأمة كلها آثمة لتعطل الخلافة منذ ١٠٠ عام

كما أن الأمة كلها تأثم لأن فلسطين ما زالت أسيرة في يد الكافرين

كذلك يأثم المسلمون إذا لم يكن بينهم مجتهد في كل منطقة، ويأثمون إذا لم يكن هناك طبيب أو صيدلاني أو مهندس أو معلم وما إلى ذلك مما تحتاجه الجماعة الإسلامية ليستقيم عيشها.

وبالنظر في فروض الكفاية يتضح أن الدين لا يقام إلا بالخلافة، وأن المسلمين يظلون أئمين بلا سلطان؛ لأنهم لن يستطيعوا إقامة فروض الكفايات! فكيف يمكن للفرد المسلم مهما كانت درجة تقواه والتزامه الفردي أن يعلم أين وجه التقصير في فروض الكفاية في الأمة: هل التقصير في المجتهدين؟ أم في الفقهاء؟ أم في علماء اللغة؟ أم في المهندسين! أم في البنائين! أم في السباكين! أم المحتسبين! أم الأطباء أم في المرضى؟ أم الدعاة أم المدرسين؟

. لذلك لا بد من جهة ناظمة وجهاز تخطيط مركزي

ولا بد من وجود جهة تحدد كل الحاجات المتعلقة بالجماعة وكيفية تحصيلها وتوجيه الأفراد لسدها، من خلال تخطيط جماعي لحياة الأمة في كل شؤونها؛ ليعرف الفرد أين الثغرة التي يجب أن يسدها.

هذه الصور الجماعية كانت رائجة في الماضي، وتراجعت الآن وضاع الكثير من مكانة ودور الأوقاف، وقلت هيبة أهل العلم ومكانتهم في نفوس الناس، حتى المشايخ وأهل العلم والفقهاء صاروا مهجورين إن وجدوا، وصعد التدين الفردي الذي يتبنى فيه الفرد معتقدات خاصة بعيداً عن أي تراث أو علماء.

لقد خفف الدين المعاصر المتأثر بالفردانية من نزعة النضالية، فأن تكون متديناً لم يعد يعني أن تكون صاحب قضية تقني عمرك في سبيلها، وإنما صار أن تكون إنساناً سمحاً لطيفاً عادياً في يومك وحياتك، صار التخلي عن القضايا الكبرى ذكاءً لا استسلاماً، وأضحى الانكفاء على الذات حكمة لا هروباً، فلماذا اتبني قضية إسلامية عامة وأنا بامكاني أن أعيش حياة هادئة خالية من المشاكل والهموم الاممية؟ ولماذا الازم شيخاً وأنا املك الانترنت فيه كل شيء؟ ولماذا افحص في التراث الاسلامي وأنا بمقدوري صياغة افكاري الخاصة حول الدين؟

. هذه الفردانية منتج من منتجات إبليس للتلبيس على الشباب والتولي واتباع غير سبيل المؤمنين

فالحق أن المسلمون أمة متكاملة كالبنيان؛ كل فرد مسلم فيها يتبنى دوراً فعالاً في مجتمعه، ويسد ثغرة وينشغل بالقيام بأحد الفروض وتحصيله، ويدفع الإثم عن مجموع أمته.

فعلينا أن نعلم أن الشباب المسلم يحمل مسؤولية رعوية تجاه أنفسكم وأمتكم، ثم إن كرامة أنفسكم وأمتكم مرتبطة بشعائر الإسلام، وقدرتكم على إظهارها في نظام العالم، ولا يمكن أن تقام هذه الشعائر وتظهر من غير سلطان المسلمين الذي يقيم أحكام الإسلام بالعدل والإحسان، وإن القعود عن هذه المهمة اثم ساحق وهلاك.

انتبه أيها الشاب المسلم ولا توقع نفسك في اثم الفردانية، اسع للنهوض بأمتك والقيام بأمر دينك واحرص على أن تنتمي لجماعة المسلمين؛ فالجماعة رحمة والفرقة عذاب كما علمنا رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام، واصبر نفسك مع الجماعة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

.وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم